ISSN: 2706-6495

الاستراتيجية الإدارية ونماذج القادة في الحكومة المركزية للدولة الأموية

Administrative strategy and leadership models in the central government of the Umayyad state.

إعداد الأستاذ الدكتور/ يحيى بن حمزة الوزنة السليماني

برفسور في التاريخ، قسم التاريخ والحضارة الإسلامية، كلية الشريعة، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية

Email: dr-yalwazna@hotmail.com

الملخص:

الهدف من البحث تسليط الضوء على الاستراتيجية الإدارية التي أسست الدولة الأموية العريقة عند تطبيق منهج الموارد البشرية بشكله الصحيح والدبلوماسية المتبعة للسيطرة على وحدة الحكم التي بدأت حكمها بسياسة أوتوقراطية ودبلوماسية محنكة وأهمية البحث تكمن في كشف السياسة الإدارية التي اتبعها معاوية بن أبي سفيان لتحقيق فكرته لبناء دولة قوية بتوزيع مهام الحكم وفق المهارات الفردية لاختيار الرجال الذين شاركوا في الحكومة المركزية للدولة الأموية مع اختلاف أيديولوجية كل فرد فيهم وكسب ولائهم لبناء وطن آمن ومتحضر كما تظهر منهجية البحث في تتبع السلسلة التاريخية لخفايا أحداث اسرار العلاقات الداخلية بين الحكام ونكتشف الأسباب التي أدت إلى أن سياسة الحكم تطورت حتى اصبحت البيروقراطية تتصدر منهج قمع الفتن للحفاظ على استقرار الدولة وازدهارها لحمايتها من مكائد داخلية او غزو خارجي وسنتطرق لذكر العصر الذهبي الثاني في الدولة الأموية مع ذكر آراء المؤرخين التي كانت ضد السياسات التيتم تطبيقها في الحكم في ذلك العهد. وستظهر لنا نتائج وتوصيات البحث أن نجاح أيكيان إداري يعتمد على توظيف المهارات الفردية وصقلها لمصلحة الجماعة وأن الدولة القوية المتحدة تبدأ من الحيادية الدينية والعلمية العملية، وأن السلطة التي تنتهج ذلك يجب تضع نصب أعينها مصلحة الدولة وليست مصلحة الفرد برؤية واضحة وأفكار وأسسوا استراتيجية ودبلوماسية إدارية مرنة.

الكلمات المفتاحية: الاستراتيجية الإدارية، الموارد البشرية، معاوية بن أبي سفيان، الحكومة المركزية، الدولة الأموية.

ISSN: 2706-6495

Administrative strategy and leadership models in the central government of the Umayyad state.

Abstract

The aim of the research is to shed light on the administrative strategy that established the ancient Umayyad state through the correct implementation of the human resources approach and the diplomacy employed to control the unity of governance. The Umayyad state began its rule with an autocracy policy and savvy diplomacy. The importance of the research lies in revealing the administrative policy followed by Muawiya bin Abi Sufyan to achieve his idea of building a strong state by distributing the tasks of governance according to individual skills, and selecting men who participated in the central government of the Umayyad state despite their different ideologies, gaining their loyalty to build a secure and civilized nation.

As the research methodology shows in tracing the historical chain of events and uncovering the secrets of internal relations between rulers, we discover the reasons that led to the evolution of governance policies to the point where bureaucracy dominates the method of suppressing strife to maintain the stability and prosperity of the state and protect it from internal intrigues or external invasion. We will mention the second golden age of the Umayyad state, along with the opinions of historians who were against the policies implemented during that era. The research will reveal that the success of administrative organization depends on the individual skills that are honed for the benefit of the community, and that a strong and united state begins with religious and practical scientific neutrality. The authority that follows this approach must prioritize the interests of the state over the individual's interests with a clear vision and flexible administrative, diplomatic, and strategic foundations.

Keywords: Administrative strategy, Human resources, Muawiyah bin Abi Sufyan, Central government, the Umayyad state.

ISSN: 2706-6495

1. المقدمة:

قامت الدولة الأموية بفضل رجل عرف كيف يستفيد من الظروف المواتية له كي يعلن نفسه خليفة ويقيم دولته، وقد أعتمد معاوية في ذلك على رجال انضموا إليه وكسب ثقتهم وإخلاصهم واستخدامهم وانتفع بآرائهم وملكاتهم لإقامة دولة.

ولم تكن الدولة الأموية التي أقامها معاوية قانونية أو شرعية أو بمعنى أخر لم تكن قائمة على أساس إرضاء الناس وثقتهم، وإنما قامت على إرادة معاوية وحسن استخدامه للظروف والانتفاع بأولئك الرجال ولهذا لم يهتم معاوية بالناحية الشرعية وما لابد لها من مؤسسات قانونية يعتمد الحكم عليها وإنما اهتم اهتماماً شديداً بالرجال الذين ينفذون الخطط ويخدمون دولته وينصرونه على أعدائه، ولهذا توصف الدولة الأموية بأنها دولة رجال. كما سوف يتطرق البحث إلى ذكر النقاط التالية:

المبحث الأول: معاوية بن أبي سفيان والموارد البشرية والإدارية، لنيل ولاء الرجال بالكامل والكشف عن أفضل الصفات والمهارات لديهم وتسخيرها بما يتناسب مع مناصبهم الإدارية ومهامهم الوظيفية.

المبحث الثاني: اهم الرجال الذين تولوا المناصب الإدارية وسياستهم المتبعة في الحكم.

المبحث الثالث: القادة الحكام والدبلوماسية المتبعة فيما بينهم، لسيطرة على الخلافات الداخلية التي كانت في البلاط الحاكم للحفاظ على وحدة الدولة من الانهيار مهما كلفهم الأمر.

1.1. أهمية البحث:

طرح موضوع الدولة الأموية تكمن أهمية البحث في بمنظور مختلف يتطرق لمهارة تطبيق منهج الموارد البشرية بشكله الصحيح والاستراتيجية الإدارية والدبلوماسية المتبعة للسيطرة على وحدة الحكم لإنجاح أي منظمة سواء كانت دولة او مؤسسة او منشأة.

2.1. أهداف البحث:

1- تسليط الضوء على الجانب الآخر من الدولة الأموية الإدارية بفكر أوتوقراطي وأهم صفات الرجال الذين بنو الدولة الأموية المركزية وسبب تفوقهم على نظرائهم.
2- لمحة عن العصر المرواني الذهبي الثاني للفتوحات الإسلامية وكيفية توزيع المهام الوظيفية وفقاً للمهارات الفردية وقد تم ذكر بعض من أهم الوظائف الإدارية في ذلك الوقت.
3- ذكر آراء المؤرخين لبعض السياسات التي تم تطبيقها في الحكم في العهد الأموي.
4- توضيح أنواع السياسات المتفاوتة التي تم تطبيقها في تلك الفترة والتي كانت تختلف بحسب أيدولوجية المجتمع ورد فعل الحاكم لسيطرته على الحكم.
5- تسليط الضوء على الرجل الذي أطلق عليه المؤرخون مفتاح الخير ولماذا أطلق عليه هذا الاسم.

ISSN: 2706-6495

(2) معاوية بن أبي سفيان والموارد البشرية والإدارية:

الحقيقة أن معاوية كان حسن الحظ لوجود عدد كبير من الرجال الأكفاء من أهل بيته وغيرهم استطاع الاعتماد عليهم. ويتبين لنا مواهب معاوية السياسية في حسن اختياره لهؤلاء الرجال واجتهاده في الانتفاع بملكاتهم وتوفيقه في ذلك بما بذله أولئك الرجال من التأييد وكانت استراتيجيته المتبعة لينال ولائهم منحهم نصيب من الثقة ما أطلق أيديهم بالعمل والتصرف وما أفاض عليهم من الأموال والوظائف والعطايا في مقابل ذلك حتى يستزيد من ولاءهم ويضمن اخلاصهم له ولأهل بيته حتى وأن كان ثمة خلاف معهم في وجهات النظر والموقف، وهذا سوف يتضح لنا خلال سرد الأحداث المثيرة عند اختياره لرجال المشاركون في حكم الدولة الأموية.

بدأ معاوية في تطبيق هذه السياسة فسعى إليه العديد من الشخصيات التي توسم فيها الكفاية والمهارة في شئون السياسة والحرب والإدارة وضمهم إلى جانبه، وعنى بهم عناية خاصة، وبفضل هؤلاء الرجال قامت الدولة أولاً ثم أنقذت الدولة من عدة أزمات وأخطار كادت أن تقضي عليها نهائيا منذ نشأتها كثورة عبد الله بن الزبير وثورات الخوارج والشيعة، إلى جانب غارات الروم المكثفة.

(3) أهم الرجال الذين تولوا المناصب الإدارية وسياستهم المتبعة في الحكم:

أشهر هؤلاء الرجال في العصر السفياني عمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة وزياد بن أبيه وعبيد الله بن زياد والضحاك بن قيس الفهري وبسر بن أرطاة.

أ- عمرو بن العاص (اليعقوبي،19968):

قيلت فيه عدة أقاويل وروايات تبين لنا مدى تمتعه بالزعامة والسيادة والمهارة الحربية والدهاء والحيلة وحسن التصرف فهو من بني سهم (ابن حزم،1968) بطن من بطون قريش اشتهروا في الجاهلية وفي الإسلام وكانوا من أصحاب السيادة (حسن،1964) والسلطان في مكة، فقيل أنهم أصحاب الحكومة في قريش قبل الإسلام فكانت لهم الرئاسة على الأموال (القلقشندي ،1931) الخاصة وهي أشبه بالأوقاف العامة الآن. فنشأ تاجراً في الجاهلية وكان يشتهر بتجارة الأدم (الكندي،1908) ثم دخل الإسلام عام ثمانية من الهجرة (عبد البر ،1978)، ونجح عمرو بن العاص في كسب ثقة النبي صلى الله عليه وسلم فقربه إليه، وأسند إليه قيادة المسلمين في معركة ذات السلاسل (ابن سعد،1968)، ومع أن جيش المسلمين كان يضم العديد من القادة العسكريين المحنكين أمثال أبوبكر الصديق وعمر بن الخطاب وأبي عبيدة عامر بن الجراح (ابن الاثير،1964).

وقد برز دهاء عمرو بن العاص لأول مرة في الإسلام عندما استأذن من الخليفة عمر بن الخطاب في فتح مصر قائلاً له "إني عالم بها وبطرقها وهي أقل شيء منعة وأكثر أموالاً" (الكندي، 1908) وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يرد هذه العبارة عندما رأى رجل يتلجلج في كلامه قال "خالق هذا وخالق عمرو بن العاص واحد" (ابن تغرى بردي ،1963). ويعتبر عمرو بن العاص من فرسان قريش وأبطالهم في الجاهلية مذكوراً فيهم واحداً من الدهاة في أمور الدنيا المقدمين (النويري،1923) في الرأي.

ويمكن أن نطلق على عمرو بن العاص الرجل الأول في الدولة الأموية وبالتحديد في الدولة السفيانية حيث استطاع من أجل مصلحته أن يدافع عن بقائها وكيانها ضد أي خطر سواء من جانب الدولة البيزنطية أو ضد الناقمين والخارجين عن طاعتها.

ويمكن أن نطلق على عمرو بن العاص الرجل الأول في الدولة الأموية وبالتحديد في الدولة السفيانية حيث استطاع من أجل مصلحته أن يدافع عن بقائها وكيانها ضد أي خطر سوآءً من جانب الدولة البيزنطية أو ضد الناقمين والخارجين عن طاعتها.

ب- المغيرة بن شعبة:

الشخصية الثانية التي لعبت دوراً هاماً في قيام الدولة الأموية وبقائها هو صحابي مشهور من قبيلة ثقيف (ابن السعد،1968) التي تشتهر بالدهاء والفطنة والحنكة السياسية فقد خرج منها عدد كبير من الرجال ذوي المواهب والكفاءة منهم الحجاج بن يوسف الثقفي والمختار بن عبيد الثقفي وقتيبة بن مسلم الباهلي. شهد المغيرة مع النبي صلى الله عليه وسلم صلح الحديبية وقد كلفه بهدم صنم اللات وتقلد أول منصب اداري في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه في ولاية البصرة ثم عزله فيما يقال لاتهامه بجريمة الزنا (ابن الأثير،1960) وقد وصفه عمر بأنه لو كان المغيرة داخل ثمانية (حتي،1966) أبواب لخرج منها جميعا بدهائه، ثم أسند إليه عثمان بن عفان ولاية الكوفة ثم ابتعد عن العمل في المناصب الإدارية في عهد علي بن أبي طالب عندما نشبت المعركة بين علي و معاوية.

ومن الثابت تاريخياً أن المغيرة بن شعبة قد نصح على بألا يتعجل في عزل الولاة الأمويين من ولاياتهم حتى يأخذ منهم البيعة ثم يعزلهم فلم يستجيب على لهذه النصيحة واعتبرها خدعة لا تليق بخليفة المسلمين، وتابع المغيرة بن شعبة قصة الحكمين حتى وجد أن كفة معاوية أرجح فالتحق في خدمته وأسند إليه ولاية الكوفة (البلاذي،1988) مدى الحياة.

و كان المغيرة من أحسن الولاة الذين ساسوا الكوفة لأنه استطاع بمهارته أن يضمن الطاعة العمياء للخليفة معاوية بأقل ما يمكن من الضحايا والدماء، و قد عبر عن سياسته بقوله :((أحب أن ابدأ أهل المصر بقتل خيارهم و سفك دمائهم فيسعد الخليفة بذلك و أشقى و يعز في الدنيا معاوية و يذل المغيرة في الأخرة و لكني قابلٌ من محسنهم و عافٍ عن مسيئهم و حامدٌ حليمهم و واعظٌ سفيههم حتى يفرق بيننا الموت)) (الطبري،1974) و لا ننسى أن صاحب فكرة توريث الخلافة هو المغيرة بن شعبة فقد عرضها على معاوية حتى لا يعزله عن ولاية الكوفة (الذهبي،1978)

وهناك ملحوظة كبيرة على شخصية المغيرة بن شعبة وهي كثرة الزواج والطلاق فقيل أنه تزوج سبعين امرأة (ابن سعد،1990) وقيل أيضاً مائة امرأة مما أساء لسمعته ودهائه.

ج- زياد بن أبيه:

فكان يُعرف بأسماء عديدة منها: زياد بن أبي سفيان (عبد البر،1992) وزياد بن سمية وزياد بن عبيد. دخل الإسلام في عهد أبوبكر الصديق ثم استعمله عمر بن الخطاب في جباية بعض صدقات البصرة وقيل عمال البصرة ثم عمل كاتباً لأبي موسى

ISSN: 2706-6495

الأشعري وللمغيرة بن شعبة وعبد الله بن عامر وعبد الله بن عباس، ثم التحق بخدمة علي بن أبي طالب فأسند إليه ولاية فارس (الطبري،1974) وأظهر فيها كفاية.

ومن الثابت تاريخياً أن بلاد العراق كانت مشهورة بالتمرد والشغب كما يقول أهل الشام ولكن في الحقيقة أن أهل العراق يرفضون الخضوع لأهل الشام بحجة أنهم عرب مثلهم في رأيهم لا يجوز أن يخضع جماعة من العرب لسلطان جماعة أخرى منهم لذلك استعان معاوية على هذه البلاد بأقرب الناس صلة به وهو زياد بن أبيه.

وقد أعلن زياد عن سياسته نحو أهالي العراق في أول خطبة ألقاها في مدينة البصرة فقال ((ليأخذ الولي بالمولى والمقيم بالظاعن والمقبل بالمدبر والمطيع بالعاصي حتى تستقيم قناتهم)) (الطبري،1974) وقد ذكر المؤرخون بأن هذه السياسة تعبر عن الظلم والطغيان فلما توفي المغيرة ضم إليه معاوية ولاية الكوفة فهو أول من اجتمعت له ولايتا الكوفة والبصرة (الذهبي،1990)، فكان زياد يمكث ستة أشهر بالكوفة والستة الباقية بالبصرة.

ومن الملاحظ أن مدينتي البصرة والكوفة كانتا باب التوسع في بلاد الترك (النرشخي،1965) والسند والهند أو بعبارة أخرى تخرج منهما الحملات الحربية لهذه البلاد. لم يقتنع زياد بما لديه من سلطة وأملاك بل أرسل إلى معاوية يقول ((أني خبطت العراق بيمني وشمالي فارغة)) (المسعودي،1967) فسأله أن يوليه ولاية الحجاز، لكن معاوية رفض بشدة هذا المطلب وقال ابن خلكان[3] (ابن خلكان،1984) أراد زياد التشبه بالخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه في ضبط أمور البلاد والحزم والصرامة وإقامة السياسات إلا أنه أسرف وتجاوز الحد.

ويرجع لزياد بن أبيه الفضل في تطوير النظم الحربية فهو أول من وضع الحرس بين يديه وزاد في رواتبهم فقلّده معاوية في هذه الأمور وتوفي بالطاعون (السيوطي،1967) عام 53هـ فاستخدم معاوية ابنه عبيد الله فأسند إليه ولاية خراسان أولاً فلما أبلى فيها بلاءاً حسناً منحه ما كان لدى أبيه من ولايات وسلطات بفضل ما كان يتمتع به من قوة الشكيمة (حسن،1939) وحسن التصرف، ويقال أنه صاحب الخطة التي دبرت لقتل الحسين بن علي(الدينوري،1960) كذلك لعب عبد الله دوراً هاماً في جعل الخلافة في يد الأمويين والوقوف ضد أنصار الزبير فنجح في كسب القبائل(السيوطي،1967) اليمنية وتأييدها لخلافة مروان بن الحكم.

وهناك ظاهرة برزت في العصر السفياني وهي لماذا كان زياد أقرب إلى قلب معاوية عن عمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة ويرجع هذا إلى أنه قد تبين أن زياد بن أبيه أكثر إخلاصاً عن القادة الأخرين فأتخذه وزيره يأخذ برأيه ويستمع لمشورته.

وحقاً ما قاله المؤرخون وكُتاب التاريخ من أن دهاة الإسلام أربعة وهم: معاوية ابن أبي سفيان ويتصف بالأناة (الذهبي،1978) والحلم، وعمرو بن العاص ويتصف بالمعضلات والمغيرة بن شعبة للمبادهة (المفاجأة) وزياد بن أبيه بالاهتمام بالكبيرة (الذهبي،1978) والصغيرة.

وهناك رجال آخرون اعتمد عليهم الفرع السفياني في إدارة شئون دولتهم نذكر على سبيل المثال بسر بن أرطاة والضحاك بن قيس الفهري وجنادة بن أمية الأزدي.

ISSN: 2706-6495

أما الضحاك بن قيس الفهري فتقلد ولاية الكوفة من قبل الخليفة معاوية بن أبي سفيان ثم عزله وانتقل إلى مدينة دمشق بجوار الخليفة حيث انضم لخواصه ومستشاريه فكان معاوية يستشيره في كل شيء ويأخذ برأيه، و قيل أنه كان يتقلد أمور الخلافة (ابن الأثير،1994) عندما يؤدى معاوية فريضة الحج أو يمرض، كذلك هو الذى قام بزمام الخلافة عندما توفى معاوية (ابن حزم،1962) ثم سلمها لابنه يزيد، ثم انقلب على بني أمية في عهد مروان بن الحكم حيث أعلن تأييده لعبدالله بن الزبير ضد مروان بن الحكم و قتل في معركة مرج راهط (السيوطي،2004).

وجنادة بن أمية الأزدي فهو صحابي اشترك في فتح مصر (السيوطي،2004) مع عمرو بن العاص إلى جانب أنه من أمراء البحار المشهورين ببراعتهم في قيادة الأسطول الأموي فقلده معاوية إمرة أسطول مصر البحري، وقيل أنه اشترك في غزوة جزيرة قبرص مرتين وكان من المؤيدين (ابن حزم،1962) لحكم بني أمية.

نبغ في العصر المرواني كذلك عدد كبير من الرجال العسكريين والإداريين الذين لعبوا دوراً في حفظ كيان وادارة شئون الدولة الأموية. ويعتبر العصر المرواني هو العصر الذهبي الثاني للفتوحات الإسلامية الأولى التي تمت على أيدي هؤلاء القادة العسكريين أمثال الحجاج بن يوسف الثقفي ومحمد بن القاسم الثقفي وقتيبة بن مسلم الباهلي وعقبة بن نافع الفهري وحسان بن النعمان وموسى بن نصير.

فالحجاج بن يوسف ولد ونشأ بمدينة الطائف (ابن خلكان،1984) وقد ورث عن أبيه مهنة المعلم (ابن قتيبه،1975) ثم رحل إلى الشام وهناك اتصل بروح بن زنباع الجذامي وزير (ابن قتيبه،1973) عبد الملك بن مروان، وكان الخليفة يشتكي إليه من الفوضى وعصيان جنده عليه وطلب منه أن يشير عليه برجل يتحمل هذه المهمة، وعلى الفور أشار روح بالحجاج بن يوسف وقد نجح في السيطرة وكسر تمرد وعصيان ضد الخليفة فارتفع شأنه وكسب ثقته وأصبح من خواصه.

كانت المشكلة التي شغلت بال وقلق الخليفة عبد الملك بن مروان هي ثورة عبد الله بن الزبير وانتشارها في جميع أركان الدولة الأموية حتى في قلب العاصمة دمشق. فقال له الحجاج ((إني أرى في منامه أنني أسلخ ابن الزبير)) (ابن الأثير،1960) فبعثه في قتاله في الحجاز، ونجح الحجاج نهائياً في القضاء على أخطر وأعنف ثورة هددت كيان وبقاء الدولة الأموية فأعطى الخلفاء الأمويين وخاصة الوليد بن عبد الملك للحجاج حرية اختيار أعوانه ومساعديه فكانوا غالباً من قبيلة ثقيف القيسية. (ابن الاثير،1971)

وقد اشتهر الحجاج بن يوسف بالقسوة وسفك الدماء بحق أو بدون حق فاختلف المؤرخون بين مؤيدين ومعارضين، فالحزب المؤيد يرى أن ولاية العراق معروفة بالفتن والفساد فلابد من يد من حديد لقمع نزعات الثورة في هذه الولاية سواء عن طريق الدماء أو بالتنكيل برؤوس الفتن. أما الحزب المعارض فكان يرى أن الحجاج كان يستطيع أن يحقق ذلك بأقل مما سفك (سليم،1965) من دماء وما أرهق من أرواح، وقد أدرك عبد الملك إسراف الحجاج في الدماء والأموال فكتب إليه: ((أما بعد فقد بلغ أمير المؤمنين سرفك في الدماء وتبذيرك في الأموال ولا يحتمل أمير المؤمنين في الدماء بالدية في الخطأ وبالقود في الدماء وحكم عليك في الأموال بردها إلى مواضعها)) (الطبري،1974). وقيل أن الحجاج أراد التشبه بزياد بن أبيه ((أبي سفيان)) في سياسته نحو

الإدارة ولكنه أخطأ في ذلك. وكان زياد بن أبيه والحجاج أعظم نائبين لبني أمية في العراق (ابن عساكر،1980) وكان العباسيون يحسدون بني أمية على هذين الرجلين ومع هذا نحن نشيد بهذا الرجل الذي استطاع إنقاذ هذه الدولة من عدة أزمان وأخطار كادت تهلكها كثورة المختار الثقفي وثورة يزيد بن المهلب وهو أول من بنى مدينة إسلامية جديدة وهي مدينة واسط[2] وعرب الدواوين العراقية وسك أول دينار عربي إسلامي وكذلك تمتعت هذه الولاية في عهده برخاء اقتصادي وثقافي وأمن واطمئنان وخرجت منها الحملات الحربية إلى بلاد ما وراء النهر والسند والهند.

وأيضاً من القادة العسكريين قتيبة بن مسلم الباهلي وهو من تلاميذ الحجاج بن يوسف فكان يتميز بالشهامة (ابن الاثير،1960) والاقدام وحسن التدبير والتنفيذ فأسند إليه ولاية الري ثم أضيف إليه ولاية خراسان حيث مكث بحكمها ثلاث عشرة سنة، ولهذا القائد الفضل في التوسع في البلاد ما وراء النهر فتم على يده فتح خوارزم (النرشخي،1965)، وسمرقند وبخارى ونشر الإسلام وفرض الجزية على أهالي حدود الصين.

ومن القادة العسكريين الذين ارتبطت أسماؤهم بالفتوحات في المغرب والأندلس عقبة بن نافع الفهري وحسان بن النعمان وموسى بن نصير. فعقبة بن نافع الفهرى يتصل نسبه بعمرو بن العاص (الزبيري،1978) وقد تعلم وتتلمذ على يديه وشاركه في فتح مصر (مؤنس،1964) وبرقة وزويلة فخرج في عهد معاوية بن أبي سفيان بأمر من والي مصر لغزو إفريقية، فنجح في غزوها وفي بناء وإنشاء مدينة ومسجد القيروان (ابن عذارى،1964) وجعلها منبر للعلم والحضارة.

و نلاحظ أن والي مصر كانت له الحرية الكاملة في اختيار عامله على إفريقية و أحياناً بجمع له ولايتي مصر و إفريقية كما تقلدها مسلمة بن مخلد الأنصاري (تغرى بردي،1963) وجد الخليفة عبدالملك بن مروان تدهور حالة إفريقية و خاصة بعد مقتل و اليها زهير بن قيس البلوي (ابن عذارى،1964) فاختار أحد رجاله المقربين الموثوق منهم و على شيء كبير من المقدرة السياسية و المهارة الحربية و بعد النظر و هو حسان بن النعمان (القيرواني،1967) الغساني أول أمير شامي يدخل إفريقية أيام الأمويين و كان يلقب بالشيخ الأمين و قيل أن الخليفة أطلق في يده خراج ولاية مصر(القيرواني،1967) اثناء فتح إفريقية فنجح في تنظيم أمور الولاية و دّون بها الدواوين و إصلاح نظام الخراج (النويري،1923) و قيل لو امتدت ولاية حسان لجنى المغرب على يديه كثيراً من الخير و العجيب أن والي مصر عبدالعزيز بن مروان كان ينقم عليه فعزله بدون سبب يذكر ثم أسند ولاية إفريقية لأحد خواصه و هو موسى بن نصير لكى يبين للخليفة عبد الملك بن مروان أنه أفضل من رجاله، و كان موسى بن نصير مرهوباً من القبائل البربرية لإسرافه في معازتهم و نهب بلادهم و أخذ الأسر منهم مما جعل عبدالملك يظن بأنه سينهب و يسلب أموال ولاية إفريقية كما فعل في ولاية البصرة، وكان والده نصير على حرس معاوية بن أبي سفيان و له منزلة كبيرة لديه و قيل أنه كان على خراج ولاية البصرة من قبل الحجاج بن يوسف فنهب بعض أموال الولاية فاغرمه عبدالملك بن مروان مائة ألف دينار دفع نصفها والنصف الآخر دفعه عبدالعزيز مروان و ضمه لرجاله فولاه إفريقية و قد قام موسى بن نصير و مولاه طارق بن زياد بفتح الأندلس مشتركين و أصابوا غنائم (النويري،1923) لم يسمع أحدٌ بمثلها من قبل، و نمى إلى الوليد بن عبدالملك أن موسى بن نصير يسئ التصرف في الأموال فاستدعاه مع طارق ليحاسبه على ما كان بيده من أموال ولكن طارقا و موسى وصلا بعد وفاته، فاشتد سليمان بن عبد الملك خليفة المسلمين مع موسى و طالبه بأموال جسيمة و انتهت حياته في فقر و خمول و يقال إن سليمان

بن عبد الملك أوعز بقتل عبدالعزيز بن نصير الذى تركه أبوه والياً على الأندلس، أما عبدالله الذى تولى ولاية إفريقية بعد أبيه فقد اكتفى سليمان بعزله.

أما رجال الإدارة في العصر المرواني فقد وزع الخلفاء الأمويين الاختصاصات بينهم طبقا لما وجدوه من صفات كل رجل منهم، فكان البلاط الأموي يضم الحاجب و الكاتب و الحارس و القاضي وصاحب البريد الخاتم و الشرطة فهم نواة الدولة الأموية و أجهزتها وهم الذين يديرون زمام أمور الخلافة دون الرجوع إلى الخليفة إلا في الحالات الضرورية، لذلك حرص الأمويون على اختيار هؤلاء الإداريين بدقة و حذر، فذكر على سبيل المثال صفات صاحب البريد والقاضي والحاجب، فصاحب البريد يتصف بالثقة الكاملة في نفسه و عند الخليفة، و البراعة في إرسال (القلقشندي،1922) واستقبال أوامر وتعليمات الخليفة للولاة و حسن التدبير في تلخيص الرسائل[2] والكتب الواردة من الولاة إلى الخليفة والمهارة الفائقة في اختيار نوابه وأعوانه في الأقاليم الإسلامية. أما القاضي فيتميز بالرأي والعقل وسلامة الحواس وخاصة السمع (الماوردي،1960) والبصر والمعرفة الكاملة بأحكام الكتاب (أبو النصر،1948) والسنة، بينما كانت أهم صفات الحاجب الثقة والأمانة وكتمان الأسرار (ابن قتيبة،1973) وحسن لقاء الناس واللباقة في الكلام والتعبير.

ومن أشهر رجال الإدارة في العصر المرواني أبو إدريس الخولاني ورجاء ابن حيوة الكندي وروح بن زنباع الجذامي وقبيصة بن ذؤيب ومكحول ويزيد بن الحارث العبسي ويزيد بن بشير الكناني وعمرو بن المهاجر ونعيم بن أبي سلامة (الاندلسي،1964) والربيع بن سابور.

و لو استعرضنا حكم بعض خلفاء المروانيين لأمكننا التعرف على معالم الإدارة و رجالها فكانت الإدارة في عهد عبدالملك بن مروان في أيدى مجموعة من خواصه وثقته فالقضاء في يد أبي إدريس الخولاني الملقب بالمباشر والبريد والخاتم في يد قبيصة بن ذوئب (ابن سعد،1990) والخراج في يد سرجون بن منصور الفحي النصراني ثم انتقل إلى سليمان بن سعد الخشني (الاندلسي،1964) بعد تعريب الدواوين إلى اللغة العربية، وكانت الشرطة في يد كعب بن حامد العبسي (خياط،1965) المعروف بكفايته و تنظيمه و تولى حراسته أبو عياش مولى حمير ثم تقلد من بعده خالد بن الريان (الاندلسسي،1964)، أما حاجبه فكان أبو يوسف مولاه .

ويفوق هؤلاء الرجال روح بن زنباع حيث كان بمثابة الوزير فكان لا يترك الخليفة إلا في وقت النوم حيث كان يناقشه في كل صغيرة وكبيرة ويأخذ رأيه بل وينفذه في الحال وهو الذي يختار رجال الإدارة للخلافة فقد اختار الحجاج بن يوسف الثقفي لينضم إلى خدمة البلاد الأموي ويمكن أن نطلق عليه بالرجل الأول في عهدي عبد الملك بن مروان والوليد بن عبد الملك.

أما في عهد سليمان بن عبد الملك فكان الرجل الأول في الإدارة رجاء بن حيوة الكندي (اليعقوبي،1968) حيث اعتمد عليه سليمان اعتماداً كلياً وجزئياً في إدارة زمام الخلافة فأشار عليه بإطلاق سراح المسجونين (ابن الأثير،1960) والبيعة لعمر بن عبد العزيز من بعده خاصة بعد أن فقد ابنه أيوب (ابن عبد الحكم،1950)، مما جعل المؤرخون يطلقون عليه مفتاح الخير (السيوطي،2004) وفي عهد عمر بن عبد العزيز كان يدبر شئون الإدارة سعيد بن خالد بن عثمان بن عفان وسهيل وابنه عبد الملك (ابن عبد الحكم،1950) ومزاحم مولاه وعبد الملك بن أرطاة فكانوا بمثابة وزراء ومستشارين بل هم في بعض الأحيان كانوا يختارون الولاة ونوابهم للأقاليم الإسلامية ويعزلوهم.

أما في عهد هشام بن عبد الملك فكانت الإدارة في يد كعب بن عامر العبسي وغالب بن مسعود وسالم مولاه والربيع بن سابور والأبرش الكلبي (الاندلسي،1964) فكان كاتبه ووزيره ومستشاره.

(4) القادة الحكام والدبلوماسية المتبعة فيما بينهم:

من الطبيعي ان نجد الخلافات بسبب الاختلافات الفكرية والخلفيات العشائرية والطائفية وتقديم المصالح الخاصة في مكان واحد يجتمع فيه البشر وهذه سنة الله في الكون ولكن الحكمة والفطنة هي تطبيق سياسة الاتحاد والوحدة والعمل على تحقيق الأمن والاستقرار لننال أهدافنا ونصبوا لنجاحها، وهذا ما عمل عليه معاوية بن أبي سفيان لتحقيق مآربه عند بناء الدولة الأموية.

فقد ولى معاوية عمرو بن العاص مركزا سياسيا وضمه معه في الحكم على الرغم من تخوفه وحرصه الشديد منه فقد سطع نجم عمرو بن العاص على المسرح السياسي للدولة العربية عندما قتل الخليفة عثمان بن عفان فانضم للثائرين المطالبين بدماء عثمان وكان قبل ذلك غير راضٍ (حسن،1922) عن حكمه، فلما نشبت الحرب بين الخليفة علي بن أبي طالب والوالي الثائر معاوية بن أبي سفيان وقف عمرو معتزلاً بين الفريقين، رأى معاوية أن يستميله ويتقوى به ووعده بولاية مصر مدى الحياة، ونجد أن أحاسيس عمرو تجاه معاوية لم تكن ودية (فلهوزن،2008) صادقة، وكذلك لم تكن مشاعر معاوية نحو عمرو قائمة على الإخلاص ولكن معاوية أدرك ببعد نظره أن عمرًا أحد الدهاة الذين يمكن الاعتماد عليهم في مواجهة علي بن أبي طالب، ومن ناحية أخرى أدرك عمرو أنه يستطيع أن يجني ثمار ما يقدمه لمعاوية من خدمات ومما يدل على عدم التبادل في الإخلاص بينهم أن معاوية سأل عمرو في إحدى الجلسات "ما أعجب الأشياء؟ "فقال عمرو: "إن المبطل يغلب المحق" فقال معاوية: "بل أعجب الأشياء أن يعطى الإنسان مالا يستحق إذا كان لا يخاف". كذلك كان هناك موقف آخر عندما سأل معاوية عمرو "من هم الناس؟" فقال عمرو: "أنا وأنت والمغيرة بن شعبة وزياد بن أبيه" (شلبي،1977).

وهناك حقيقة يجب ذكرها وهي أن عمرا لم يكن يحب أن تكون الزعامة في يد بني هاشم، وبفضل عمرو بن العاص فيما يقوله (ماجد،1998) معظم المؤرخين انقلب ميزان القوة من جانب الخليفة الشرعي علي بن أبي طالب إلى جانب الوالي المتمرد معاوية بن أبي سفيان فهو الذي أشار عليه برفع المصاحف (حسن،1964) بعد أن ظهرت بوادر النصر لجيش علي، كذلك هو الذى خدع و ضل أبي موسى الأشعري (سالم،1970) في قضية الحكمين إلى جانب أنه هو الذي اقترح على معاوية عندما تنازل لحسن بن علي عن الخلافة بضرورة قيام الحسن بإلقاء خطبة في أهل الكوفة (الطبري،1974) حتى تهدأ النفوس الناقمة عليه ويأخذ البيعة بالخلافة (اليعقوبي،1968). وكان معاوية يعمل لهذا الرجل كل حساب فمنحه فراج مصر وصلاتها مدى الحياة ثم لابنه عبد الله سنتين (الطبري،1974) خوفاً من أن يتزعم حركة المعارضة لخلافته.

كما أنه قد وضحت في المغيرة بن شعبة كراهيته الشديدة لعمرو بن العاص، فعندما أراد معاوية تعيين عمرو والياً على الكوفة وابنه عبد الله على مصر وعلم المغيرة بذلك غضب قائلاً له ((تؤمر عمرًا على الكوفة وابنه على مصر وتكون كالقاعد بين لحيي الأسد)) (ابن خلدون،1981). ولكن هناك حقيقة يجب الاشادة بها وهي اتخاذ المغيرة موقف الحياد التام نحو آل طالب.

كما نلاحظ علاقة زياد بي أبيه بمعاوية بن أبي سفيان العدائية البغيضة والتي لم تكن أحسن حالا، فلما ُقتِل الخليفة علي بن أبي طالب انضم زياد لخدمة وتأييد الحسن بن علي في نزاعه مع معاوية والدفاع عن أحقيته بالخلافة وهذا واضح في خطبته ضد معاوية بن أبي سفيان ((أن ابن أكلة الأكباد وكهف النفاق وبقية الأحزاب كتب يتوعدني ويتهددني)) (اليعقوبي،1968)

ISSN: 2706-6495

ولما انتزع معاوية الخلافة من الحسن لم يعترف به زياد خليفة بل حصن نفسه بقلعته (الطبري،1974) في ولاية فارس إلى جانب أنه امتنع عن إرسال أموال الولاية لدمشق. رأى معاوية بن أبى سفيان أن يتغلب عليه بالحكمة فأرسل إليه المغيرة بن شعبة ليقنعه بتغيير موقفه فتمكن بدهائه من تحقيق ذلك إلى جانب ما وجده زياد من فائدة من الانضمام لصفوف بني أمية خاصة بعد أن أرسل إليه معاوية كتاب الأمان (الطبري،1974) والاعتراف به أخا شرعياً أي أن اسمه أصبح زياد بن أبي سفيان وقد ولاّه ولاية البصرة (الجاحظ،1978) وخراسان وسجتان.

فأما بسربن أرطاه فقد كان من شيعة (ابن حزم،1962) معاوية بن أبي سفيان و انضم في خدمته منذ موقعة صفين و قد طلب منه في بداية الأمر محاربة (الطبري،1974) زياد بن أبيه و أهله ((وكان زياد في ذلك الوقت والياً على فارس من قبل علي بن أبى طالب)) فدخل بسر البصرة ولعن آل طالب على منابرها ثم ولاّه معاوية الحجاز (الطبري،1974)و اليمن. فارتكب أعمالاً فحشاء منها قتل أبناء عبدالله بن العباس الصغار (النويري،1923) ثم أغار على همدان و سبى نساءهم فكنّ أول مسلمات سُبين (عبدالبر،1978) في الإسلام، وقد اختلف المؤرخون في سنة وفاته و مكان مقبرته فيقال أنه توفي في عهد معاوية (السيوطي،2004) ودفن بالمدينة و قيل توفي في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان (مؤنس،1964) في الشام، و قيل أيضاً أنه اشترك في فتوح المغرب، و يعتبر بسر بن أرطاة من الرجال المخلصين لبني أمية وقد ظهر هذا في حروبه ضد آل طالب و شيعتهم.

كما أن المكائد استمرت في العهد الذهبي لدولة الأموية في زمن عبد الملك بن مروان والذي يسمى بالعصر المرواني حيث أن قتيبة بن مسلم أراد أن يستولي بما في يده من أموال إلى جانب كراهيته الشديدة للخليفة سليمان بن عبد الملك (المسعودي،1967) الذي ثار على العناصر القيسية وعزلهم من الوظائف الإدارية وسرعان ما اختلف عليه جنده فقتله أحدهم ويدعى وكيع بن حسان (ابن حزم،1962) التميمي، وليس من المستبعد أن يكون الخليفة هو الذي دبر خطة قتل قتيبة.

5. الخاتمة والتوصيات:

وهكذا اتضح لنا أهم الرجال الذين شاركوا في إدارة شؤون الدولة الأموية وكيف كان يتم اختيار القادة في الحكم وما هي المنهجية الدبلوماسية التي اتبعها رجال الدولة الأموية في العصر الذهبي الأول والثاني على مدار تاريخ الفتوحات الإسلامية في ذلك العهد وصورة العلاقات الحقيقية في مجال السياسة التي كانت سائدة في ذلك العصر وتظهر لنا النتائج في البحث من خلال النقاط التالية:

1- إن قيام دولة قوية وموحدة تبدأ من الحيادية الدينية والعلمية العملية، وأن السلطة التي تنتهج ذلك يجب تضع نصب أعينها مصلحة الدولة وليست مصلحة الفرد برؤية واضحة وفكر مستنير.
2- قوة البصيرة والسلطة الإدارية والحكمة والفراسة التي كان يتصف بها معاوية بن أبي سفيان في اختيار معاونيه للحكم وتوظيف مهاراتهم الفردية بما يتناسب مع الحكم الأموي لرؤيته.
3- أنه مهما كانت الخلافات الداخلية في الحكم لابد من توحيد صفوف الحكام تحت راية الولاء للوطن والحكم والقيادة الوطنية لتعزيز أمن البلاد والقيام بنهضتها.

4- من أهم عوامل نجاح أي فرد في مجال القيادة والسلطة اختيار بطانة إدارية تتناسب مع الزمان والمكان الملائمة لظروف الحكم.

5- الدبلوماسية مهمة لبناء التوازن داخل الدولة وخارجها لضمان الاستقرار الأمني والإداري ليساعد على خلق التطور للوطن وأبنائه.

6. المراجع:

1- اليعقوبي، احمد بن إسحاق. (1968)، تاريخ اليعقوبي، دار صادر بيروت.

2- ابن حزم، محمد بن علي. (1962)، جمهرة أنساب العرب، دار المعارف، مصر.

3- حسن، إبراهيم حسن. (1964)، عمرو ابن العاص، نهضة مصر، القاهرة.

4- القلقشندي، أحمد بن علي. (1922)، صبح الاعشى في كتابة الإنشاء، دار الكتب المصرية، القاهرة.

5- الكندي، عمر محمد. (1908)، الولاة والقضاة، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت.

6- ابن عبد البر، علي محمد. (1992)، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، دار الجيل، بيروت.

7- ابن سعد، محمد بن سعد. (1968)، الطبقات الكبرى، دار الجيل، بيروت.

8- ابن الاثير، علي بن ابي بكر. (1994)، أسد الغابة في معرفة الصحابة، دار التعاون للطباعة والنشر، القاهرة.

9- تغرى بردي، يوسف بن تغرى بردي. (1963)، النجوم الزاهرة، دار الكتب المصرية، القاهرة،

10- النويري، أحمد بن عبد الوهاب. (1923) نهاية الارب في فنون الادب، دار الكتب المصرية، القاهرة.

11-حسن، حسن إبراهيم. (1922)، تاريخ عمرو بن العاص، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة.

12-فلهوزن، يوليوس. (2008)، تاريخ الدولة العربية منذ ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة الأموية، دار مكتبة بيبليون، باريس.

13-شلبي، أحمد. (1977)، التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، النهضة المصرية، القاهرة.

14-ماجد، عبد المنعم. (1998)، التاريخ الإسلامي للدولة العربية: عصر الخلفاء الأمويين، ط4، مكتبة الانجلو المصرية، مصر.

15-سالم، عبد العزيز. (1970)، تاريخ الدولة العربية، دار النهضة العربية، الإسكندرية.

16-الطبري، محمد بن جرير. (1974)، تاريخ الرسل والملوك، دار المعارف، القاهرة.

17-ابن الاثير، علي ابن ابي بكر. (1960)، الكامل في التاريخ، دار صادر، بيروت.

18-حتى، فيليب. (1966)، تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، دار صادر، بيروت.

19-البلاذي، أحمد بن يحيى. (1988)، فتوح البلدان، دار مكتبة الهلال، بيروت.

20-الذهبي، شمس الدين. (1978)، سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة، بيروت.

21-ابن خلدون، عبد الرحمن. (1981). العبر من ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر من عامرهم من ذوي الشأن الأكبر، دار الفكر، بيروت.

22-ابن عبدربه، علي محمد. (1992)، الاستيعاب في معرفة الاصحاب، دار الجيل، بيروت.

23-الجاحظ، عمر بن بحر. (1978)، البيان والتبيان، دار ومكتبة الهلال، بيروت.
24-الذهبي، محمد بن أحمد. (1990)، تاريخ الإسلام وذيله، دار الكتاب العربي، القاهرة.
25-النرشخي، أبي بكر محمد. (1965)، تاريخ بخارى، دار المعارف، القاهرة.
26-المسعودي، أبي الحسن بن علي. (1967)، مروج الذهب ومعادن الجواهر، دار الكتب، القاهرة.
27-ابن خلكان، شمس الدين أحمد. (1984)، وفيات الاعيان وانباء أبناء الزمان، دار صابر، بيروت.
28-السيوطي، عبد الرحمن أبي بكر. (1964)، حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة.
29-حسن، إبراهيم حسن. (1939)، النظم الإسلامية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة.
30-الدينوري، أحمد بن داوود. (1960)، الاخبار الطوال، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة.
31-السيوطي، عبد الرحمن بكر. (2004)، تاريخ الخلفاء، مكتبة نزار مصطفى الباز، القاهرة.
32-مؤنس، حسين. (1964)، فتح العرب للمغرب، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة.
33-ابن قتيبة، محمد عبد الله. (1975)، المعارف، دار المعارف، القاهرة.
34-ابن قتيبة، محمد عبد الله. (1973)، عيون الاخبار، دار الكتب العلمية، القاهرة.
35-ابن الاثير، أبو الحسن علي. (1971)، اللباب في تهذيب الانساب، دار صادر، بيروت.
36-سليم، محمود رزق. (1965)، الحجاج بن يوسف، سلسلة أعلام العرب، القاهرة.
37-ابن عساكر، علي بن الحسن. (1995)، تاريخ مدينة دمشق، دار الفكر، بيروت.
38-الخربوطلي، علي حسن. (1978)، المختار الثقفي مرآة العصر الأموي، دار الكتب المصرية، القاهرة.
39-الزبيري مصعب بن عبد الله. (1978)، نسب قريش، دار المعارف، القاهرة.
40-ابن عذارى، عبد الله محمد. (1964)، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، دار الثقافة، بيروت.
41-القيرواني، عبد الله محمد. (1967)، المؤنس في أخبار أفريقية وتونس، المكتبة العتيقة، تونس.
42-العدوي، إبراهيم أحمد. (1962)، الأمويين والبيزنطيون، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة.
43-الماوردي، علي بن محمد. (1960)، الأحكام السلطانية، دار الحديث، القاهرة.
44-أبو النصر، عمر. (1948)، الحضارة الأموية في دمشق، مطابع رطوس، بيروت.
45-الاندلسي، شهاب الدين. (1964)، العقد الفريد، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة.
46-ابن سعد، محمد. (19909)، الطبقات الكبرى، دار الكتب العلمية، القاهرة.
47-بن خياط، خليفة. (1965) تاريخ خليفة بن خياط، دار القلم، بيروت.

جميع الحقوق محفوظة © 2023، الأستاذ الدكتور/ يحيى بن حمزة الوزنة السليماني، المجلة الأكاديمية للأبحاث والنشر العلمي

(CC BY NC)

Doi: https://doi.org/10.52132/Ajrsp/v5.49.2